هذا العنف بحجة انه يصيب مواطنين أبرياء . ان العنف الثوري الفلسطيني لا يمكن أن يميز بين بريء وغير بريء ، في وقت لم تؤد ممارسة هذا العنف الى عملية فرز **واضحة وواسعة** في المجتمع الاسرائيلي بين من مع الصهيونية ومن ضدها ، ذلك أن العنف الثوري في مواجهة مجتمع عبىء من رأسه حتى أخمص قدميه بايديولوجية عنصرية شوفينية ، تصبح مجالات الاختيار والتمييز أمامه محدودة جدا وشبه معدومة ، اضافة الى أن الاختيار أو التمييز بين أشكال العنف ولمن توجه ، لا تتحدد عبر ان ممارسة هذا الشكل من أشكال العنف يصيب مواطنين أبرياء أم لا ، بل عبر دراسة مدى تأثير هذا الشكل من أشكال العنف على العملية الثورية برمتها وعلى احداث التغيير المطلوب في المجتمع الاسرائيلي . ومن هنا فان عملية سافوي والعمليات الانتحارية الاخرى ، ليست أعمالا ارهابية ، بل شكلا من أشكال العنف الثوري ، يدخل في صلب العملية الثورية ، وفي صلب النضال ضد الصهيونية والكيان الصهيوني .

فيما يتعلق بالمجموعة الثانية من أوجه الاختلاف ، وهي الاساسية ، ينطلق الكاتب من مناقشة آراء اليسار الاسرائيلي الجديد حول المجتمع الاسرائيلي ، وهل هناك وجود لأمة يهودية ، أو لأمة اسرائيلية تكونت أو انها في طور التكوين .

يؤكد الكاتب أن لا خلاف حول رجعية وخرافة فكرة الامة اليهودية أو القومية اليهودية ، ويؤكد المقولات الماركسية بهذا الخصوص . الا أن الخلاف يبرز حول هل هناك أمة اسرائيلية ؟ سواء متكونة أو أنها في طور التكوين .

يرفض الكاتب بالمطلق وجود أمة اسرائيلية ، كما يؤكد انه لا توجد أمة اسرائيلية في طور التكوين ، ولا يمكن أن تتكون أمة اسرائيلية اطلاقا. ويبرهن الكاتب على وجهة نظره بالاستناد الى التعريف الماركسي للأمة ، ومدى انطباق هذا التعريف على المجتمع الاسرائيلي أو « التجمع الاسرائيلي » كما يصفه الكاتب . وملاحظاتي على مناقشة الكاتب هذه ، والتي أفرد لها القسم الاعظم من كتابه ، كثيرة ، سأكتفي بايراد الاهم منها .

١) انني أتفق مع الكاتب في عدم وجود أمة اسرائيلية ، كما انني ارفض فكرة « وجود أمة اسرائيلية في طور التكوين » . غير انني اختلف مع الكاتب في الحكم المطلق الذي أصدره ، فما يقرر في النهاية امكانية تكون وضع جديد أم لا ، نتيجة الغزو الصهيوني لفلسطين ، ليس ما نصدره من أحكام مطلقة ، بل الجهد الثوري والنضالي الذي تبذله الحركة الوطنية العربية ومن ضمنها الفلسطينيين ، للحؤول دون تكريس هذا الوجود واكتسابه صفات معينة تجعله أقرب « الى أمة اسرائيلية في طور التكوين » . واستناد الكاتب على عدم امكان تطور أمة اسرائيلية على غرار تطور الامة الامريكية في أمريكا الشمالية استناد ضعيف وغير صحيح (ص ٧٨ — ٨٠) . ذلك أن عدم قدرة مجتمعات سكان أمريكا الشمالية الاصليين على مواجهة غزو الرجل الابيض لها ، لم يكن وليد أن هذه المجتمعات « وصلت الى طريق مسدود في تطور علاقاتها ووسائل انتاجها » (ص ٧٨) بل كان وليد عملية الابادة الشاملة التي مارسها الرجل الابيض ضد السكان الاصليين . صحيح ان المجتمع العربي الفلسطيني كان يمثل حالة متمايزة ومتقدمة عن وضع مجتمعات سكان أمريكا الشمالية الاصليين ، مما ساعد مع توفر عوامل أخرى ، على افشال سياسة الابادة الشاملة التي شنها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني . ولكن هذا لا يعني أن هذه المجتمعات كانت في حالة بدائية « مقضي عليها بالفناء والعقم » سواء تم غزو الرجل الابيض أو لم يتم . ولا أدري ان كان الكاتب يعمم حكمه هذا أيضا على بعض المجتمعات الافريقية التي كانت في حالة بدائية أيضا ، ولكن لم يقض عليها على الرغم من غزو الرجل الابيض لها . وذلك لأن هذا الغزو جاء في مرحلة تاريخية مختلفة ، كما ان كثافة الغزو لم تكن بحجم تلك التي وجهت الى أمريكا الشمالية .

٢) ان الاسلوب الذي انتهجه الكاتب للبرهنة على عدم وجود أمة اسرائيلية ، لا يمكن وصفه الا أنه اسلوب ميكانيكي . فالبرهنة على موقفه لا تتم من خلال اجراء مطابقة ميكانيكية للتعريف الذي أورده للأمة على المجتمع الاسرائيلي . ذلك أن وجود عدة عوامل لتكون الامة ، لا يعني ان الامة لا تتكون الا بوجود هذه العوامل مجتمعة وجمعها جمعا ميكانيكيا . فعملية تكون الامم عملية تاريخية طويلة ، تدخل فيها عوامل عديدة ، وقد